

فارس نمر

من مواليد حاصبيا في جبل خرمون بلبنان بلدة الأمير مصطفى الشهابي وأهله. تلقى دراسته في المدرسة الأمريكية التي سميت فيما بعد الجامعة الأمريكية برأس بيروت، وفي هذا المعهد أو الجامعة تلاقى فارس نمر مع يعقوب صروف على أن يصدرا نشرة وكان يعقوب مثله شاباً دؤوباً محباً للعلم بحرراً في المعرفة فاجتمع النابغان يتدبران أمر الثقافة وكيف يمكن تنشيطها والفكر وكيف يمكن إشاعته والأدب كيف يمكن السمو به والالفة بين المفكرين وكيف يجوز تميز عراها فاستقر رأيهما على اصدار نشرة صغيرة من ملزمتين اختارلها الدكتور فاندريك اسم « المقتطف » وقال لهما اجعلاهما جديرة بهذا الاسم.

وأخذ فارس نمر ويعقوب صروف يصدران هذه النشرة سرّاً ويوزعانها سرّاً ولا يكتبان عليها تاريخاً ولا يضعان لها رقماً خشية أن يشور عليهما السلطان المستبد للدولة العلية العثمانية لكن ما حذرهما

وقع فسرعان ما افتضح أمر هذه النشرة وخشى السلطان التركي أن يستيقظ الشرق النائم، ويطالب بحريته وخاف أن تتبدد غشاوات الجهل التي ترين على عيون أبناء الشرق فيشب وثبة تحرره من نطاق سلطته فبعث برسله إلى فارس نمر ويعقوب صروف ينذرهما ويحذرهما ويأمرهما بالكف عن اصدار المقتطف ولكن المقتطف كان قد سابر الشمس في دورانها فدرت بأمره الدوائر العلمية في كل مكان في الهند والملايو والصين شرقاً وفي الولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية غرباً وفي جميع الأقطار الناطقة بالضاد لأنه كان مجلة يقدم للقارئ صفوة الفكر الغربي في برشام ويطلعه في مستهل كل شهر بآخر ما تمخضت عنه أدمغة المفكرين في آفاق الفلسفة والعلم والأدب والدين والزراعة والصناعة والطب والشعر وغيرها.

وظن فارس نمر ويعقوب صروف أن الشرق يضيق بهما وأن منابر الرقعة الخاضعة للنفوذ العثماني ليست منابر حرة عالية يستطيع منها توجيه الرأي العام فاستقر رأيهما على أن يسافرا إلى الولايات المتحدة مع ركب المهاجرين الماهدين حيث يستقران ويواصلان نشاطهما الأدبي والفكري وشدا الرحال إلى مصر توطئة لسفرهما إلى أمريكا.

لكن انباءهما كانت قد سبقتهما إلى مصر وعرف رياض باشا وزير المعارف أن العالمين الكبيرين فارس نمر ويعقوب صروف يحزمان الحقائق إلى الدنيا الجديدة فوجه إليهما دعوة للقاء في مكتبه وكان يحسب أنه سيلقى ببابه شيخين جلل الشيب هامة الرأس عندهما

لكنه وجد شابين فى مقتبل العمر فىهما كثير من الحياء وكثير من التواضع فاستقبلهما بحفاوة بالغة وقال لهما انه انتفع بالمقتطف فى تحسين مزارعه واستخدام أنواع ممتازة من السماد فى إخصاب أرضه فأثنت بشمر كثير وعرض عليهما أن يقيما فى مصر وكفل لهما حرية تامة فى الإقامة بمصر وإصدار المقتطف وفى استئناف نشاطهما العلمى الذى وقفاه فى بيروت واستأنف فارس نمر ويعقوب صروف عملهما وانضم إليهما زميل ثالث هو شاهين مكاريوس وأحدث الثلاثة ثورة فى الفكر فى العالم العربى بمجلة المقتطف التى تضخمت حجماً واكتظت دفوفها بالمواد الدسمة وصارت رسولا يفزرو كل ركن من أركان الفكر فى العالمين الشرقى والغربى.

ولما ترامت إلى جامعة نيويورك أنباء هذين الشابين المجاهدين دعتهما لزيارتها لتمنح كلاً منهما درجة الدكتوراه الفخرية فى العلوم اعترافاً بما أسدياه من خدمات للحركة العلمية فى العالم وكانت هذه هى المرة الأولى التى منح فيها شرقى درجة رفيعة كهذه من جامعة عريقة كجامعة نيويورك ومن صلب المقتطف ولد المقطم وهو الابن البكر للدكتور فارس نمر لأن للصديقين صروف و نمر تقاسما العمل فاستقل الدكتور صروف بشئون المباحث العلمية فى المقتطف واستقل الدكتور نمر بشئون المباحث السياسية فى المقطم وبدأ فارس نمر معركة جديدة فى حياته لأن صراعه مع سلطان تركيا العثمانى بدأ من جديد وصار سافراً غير محجب وصار السلطان لا يخاف شيئاً كما يخاف المقطم وكم بعث السلطان

رسلا إلى فارس نمر يغرونه بالمال وبالرتب لكي يكف عن حملته على السلطان فلم يستطع أحد أن يثنى هذا النمر عن ضرواته.

وفى سبيل الحركات القومية ألف الدكتور فارس نمر جمعية سرية تناوى تركيا ولا تزال حجرات دار المقطم تحتفظ بذكريات أعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم فارس نمر حوله يدبرون تديبرهم ويضعون خططهم ومن سخرية الاقدار أن الحكم بالإعدام صدر على فارس نمر ثلاث مرات فى حياته ولكن فارس نمر رأى مصارع جلاديه واحداً واحداً وبقي هو يقالب أيام الدهر حتى وافته منيته.

وصار فارس نمر قوة مرهوبة لانه رجل صادق يحمل قلماً شريفا يدعو لمبادئ سامية وأصبح صديقاً حميماً للمرحوم الخديوى عباس حلمي الذي أرسله إلى السر إدوارد جراي وزير خارجية بريطانيا ليكلمه فى أمر تنازل الخديوي عن عرش مصر على أن يسند إليه عرش دولة شرقية أخرى كسورية لكن هذا المسعى أخفق قبل أن يبدأ لأن رصاصاً أطلق على الخديوى، فى تركيا وقبل أن يبرأ تماماً كان قد عزل عن عرشه فعلاً وكان فارس نمر صديقاً للخديوى توفيق وللسلطان حسين وللملك فؤاد وللأمير محمد على الذي كان ولياً لعهد مصر حتى ولد للفاروق نجله الأمير أحمد فؤاد وكان مستشاراً غير رسمى ووسيطاً غير رسمى لأنه كان رجلاً معروفاً باستقامته وإخلاصه كما كان محبوباً من الجميع موثقاً به من الجميع.

وقد عرضت على فارس نمر رتبة الباشوية غير مرة لكنه كان يعتذر عن عدم قبولها مؤثراً أن يبقى « محرر جرائد » بعيداً عن زيف الرتب والألقاب. اختير فارس نمر عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية فكان برغم تقدمه في السن أوفر أعضاء المجمع نشاطاً وكان يرأس بعض جلساته باعتباره رئيس السن كما اختير عضواً في المجلس المصرى للثقافة العلمية منذ إنشائه ثم عين رئيساً له وكان كذلك عضواً في مجلس الشيوخ المصرى فى فترة من الفترات وما يجهله أبناء هذا الجيل أن فارس نمر هو الذى ذلل العقبات التى كانت تعترض سبيل تولى سعد زغلول باشا رئاسة الوزارة الأولى فلم يكن من المألوف أن يتولى واحد من الفلاحين المصريين منصب الوزير لأن المناصب كانت حكراً على الأتراك لكن سعد زغلول خرج على هذا العرف بفضل فارس نمر وما لم يسجله التاريخ أنه عقب وفاة المغفور له السلطان حسين كامل فى عام ١٩١٧ اتجهت النية عند البريطانيين الذين كانوا آمرين ناهين فى مصير مصر إلى استقدام أمير هندى ليتولى حكم مصر وذكر فعلاً اسم الآغاخان لكن فارس نمر ثار.

قال وديع فلسطين :-

« وعرفت فى فارس نمر صلابة فى الرأى إذا استيقن أن الحق فى جانبه فقد كان عنيداً صلب الرأى لا يثنى عن أمر إذا ارتأه صواباً إذا قال فعل وإذا وعد أنجز وقد وقف وحده يناوئ السلطان فلم يقو السلطان على كسر شوكرته وحاول الوسطاء فأبى وقال انه لا يضع يده فى يد هذا المستبد » .

«وعرفت في فارس نمر احتقاراً للحياة وعرفت منه أن من ازدرى الحياة تشبثت به وأن من سخر من الجاه أناه يسمى وقد كان فارس نمر بسيطاً في ملبسه وفي مأكله وفي حياته اليومية وكان لا يبالي بأقبلت عليه الدنيا أو أدبرت وكان ينكر ثروة لا عن جمود نعمة الله بل عن أنفة من أن يقيس الناس قدره بثرائه» .

«وعرفت في فارس نمر قدرة على التوفيق بين الدين والدنيا فقد تفقه في العلم ودرس النظريات ما كتبه منها داروين واينشتاين وغيرهما من العلماء الذين تحدوا الدين ولكنه كان أصيلاً في إيمانه يتحدث عن الحياة الأخرى ويؤمن بها ويعتصم بحبل الله ولا يتخلى عنه» .

«عرفت كل هذا وأكثر منه في فارس نمر الذي كان لي أباً وصديقاً وأستاذاً» .

«ومما يحز في نفسي أنني كنت آخر من تحدث مع الدكتور فارس نمر قبل أن تأخذه غيبوبة الموت فقد دعاني لرؤيته ومكثت معه زهاء نصف ساعة جرى الحديث بيننا سريعاً خاطفاً فقد كانت كلماته ونصائحه هي آخر ما فاه به ولما هممت بالانصراف شد على يدي وأجحش بالبكاء وقال إنني ماض ولن أراك ثانية فقلت له بل سأزورك وأجذك على خير ما يرام لكنه كان يقدم رجلاً إلى لحدّه ويجر الثانية إليه متثاقلة وبعد غيبوبة احتوته يومين طلق الدنيا في غياسي وإذا كان فارس نمر قد ذهب فإن المشعل الذي رفعه لا

يزال مرفوعاً، وقد كنا نود أن نرى فارس نمر يتقدم الصفوف ليشهد
حفلاً يقام بمناسبة اليوبيل الماسى لمجلة المقتطف التى سلخت من
العمر خمسة وسبعين عاماً كاملة لكن المنية كانت معه على موعد
فحرمته لذة ساعة يتوج فيها جهده الأدبى وجهاده العلمى بمشهد
من مالأغفير.

على أن فارس نمر كان يتهم عملاء الانكليز فى جريدة
«المقطم» .
